



أَهْمِيَّةُ الْعَمَلِ وَالتَّخْطِيطِ

فِي الْإِسْلَامِ

وَسُبُلِ التَّغْيِيرِ



جمع وترتيب

من خطب الشيخ العلامة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سنان

حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۗ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

الأمانة في العمل

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَمَرَ بِإِدَاءِ الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَرْبَابِهَا وَأَصْحَابِهَا، وَبَيْنَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ عَرَّضَ الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فَأَيَّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا، وَأَشْفَقَنَ مِنْهَا، وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنْ أَيْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» (١).

وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ - كَمَا فِي حَدِيثِ الْخَرَائِطِيِّ فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ (٢)، كَمَا فِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» -، فَقَالَ: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ، وَآخِرُهُ الصَّلَاةُ».

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ» (رَقْم ٣٥٣٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ» (رَقْم ١٢٦٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الْإِرْوَاءِ» (٥ / رَقْم ١٥٤٤)، وَفِي «الصَّحِيحَةِ» (١ / رَقْم ٤٢٣).

وَالْحَدِيثُ رُوِيَ أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ، وَأَبِي أَمَامَةَ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَرَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» لِلْخَرَائِطِيِّ (ص ٧٢، رَقْم ١٧١)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا الْبُخَارِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٢ / ١٥٨، تَرْجَمَةَ: تَوَّابُ بْنُ حَجَّيلٍ: ٢٠٤٩)، وَتَمَّامٌ فِي «فَوَائِدِهِ» (رَقْم ١٩١)، وَالْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (رَقْم ٢١٦ و ٢١٧)، وَالضِّيَاءُ فِي «الْمُخْتَارَةِ» (٤ / رَقْم

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ - كَمَا بَيَّنَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ - عِظَمَ شَأْنِ الْأَمَانَةِ،
وَجَعَلَ الْخِيَانَةَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ ﷺ فِي صِفَاتِ الْمُنَافِقِ: «وَإِذَا
أُوْتِمِنَ خَانَ» (١).

فَالْخِيَانَةُ لَيْسَتْ مِنْ صِفَاتِ الْمُخْلِصِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِ «وَإِذَا
أُوْتِمِنَ خَانَ»، وَهِيَ مِنْ أَحْسِّ وَأَحْقَرِ الصِّفَاتِ؛ خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ فِي مَقَامِ
الْإِتِّمَانِ.

فَإِذَا اتَّيَمَّنَكَ إِنْسَانٌ فَكُنْتَ لَدَيْهِ أَمِينًا، فَاتَّيَمَّنَكَ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ مِنْ عَمَلٍ
أَوْ قَوْلٍ؛ ثُمَّ خُنْتَهُ -أَي: خَانَهُ الْأَبْعَدُ-؛ فَالْخِيَانَةُ فِي مَقَامِ الْإِتِّمَانِ مِنْ أَحْسِّ
وَأَحْقَرِ مَا يَكُونُ؛ لِذَلِكَ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ.

فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَمْرٌ بِأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَاتِ يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ
فِي الْحَيَاةِ، فَالْعِبَادَاتُ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهَا أَنْ تُتَقَصَّصَ، فَإِذَا انْتَقَصَ الْإِنْسَانُ مِنْ
الْعِبَادَةِ فَهُوَ خَائِنٌ.

(١٥٨٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَلَفَظَ: «أَوَّلُ مَا تَفْقُدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الْأَمَانَةُ...»،
وَحَسَّنَ إِسْنَادَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (٤/ رَقْم ١٧٣٩).

وَالْحَدِيثُ رُوِيَ أَيْضًا عَنْ عُمَرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَائِشَةَ، وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ، بِنَحْوِهِ،
وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَحَدِيثُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٣٣) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ (رَقْم ٥٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا
أُوْتِمِنَ خَانَ».

وَالْمُعَامَلَاتُ أَمَانَةٌ، وَمَا يُسْتَأْمَنُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ أَمَانَةٌ، وَالسِّرُّ أَمَانَةٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ تَعَلَّقَ بِهِ أَمْرٌ وَنَهِيَ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَهُوَ أَمَانَةٌ، وَالْخِيَانَةُ فِيهِ أَلَّا يُؤْتَى بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ الْمَطْلُوبِ.

فَإِذَا كَانَ إِنْسَانٌ فِي عَمَلٍ، فَالْعَمَلُ الَّذِي أُسْتَوْمِنَ عَلَيْهِ أَمَانَةٌ، فَإِذَا خَانَ فِيهِ فَهُوَ خَائِنٌ، وَجَزَاءُ الْخَائِنِ مَعْلُومٌ (*).



(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «هَدَايَا الْمُوظَّفِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ / ١٩ -



* حَثَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي كِتَابِهِ عَلَى الْعَمَلِ، وَطَلَبَ الرِّزْقَ بِأَنَاءٍ وَرِفْقٍ،
مَعَ صَبْرٍ وَكَدْحٍ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾
[الجمعة: ١٠]. يَعْنِي: فَإِذَا فُرِغَ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، فَتَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ؛ لِلتَّجَارَةِ
وَالتَّصَرُّفِ فِي حَوَائِجِكُمْ وَمَطَالِبِ حَيَاتِكُمْ، وَمَصَالِحِ دُنْيَاكُمْ، وَاطْلُبُوا رِزْقَ اللَّهِ
بِأَنَاءٍ وَرِفْقٍ، مَعَ صَبْرٍ وَكَدْحٍ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ؛ رَغْبَةً فِي
الْفَوْزِ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. (*).

* وَجَعَلَ اللَّهُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً لِلْبَشَرِ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ؛ مِنْ أَجْلِ
حِرَاةِ الْأَرْضِ وَزِرَاعَتِهَا وَتَعْمِيرِهَا، وَمِنْ أَجْلِ تَرْقِيَةِ الْحَيَاةِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۗ
وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً سَهْلَةً مُطَوَّعَةً، تَحْرُثُونَهَا وَتَزْرَعُونَهَا،
وَتَسْتَخْرِجُونَ كُنُوزَهَا، وَتَنْتَفِعُونَ مِنْ طَاقَاتِهَا وَخَصَائِصِ عَنَاصِرِهَا، فَأَمْشُوا فِي

(* مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصِرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [سورة الجمعة: ١٠].

جَوَانِبِهَا وَأَطْرَافِهَا وَنَوَاحِيهَا مَشِيًّا رَفِيقًا؛ لِتَحْصِيلِ مَطَالِبِ الْحَيَاةِ، وَكُلُّوا مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، وَاکْتَسِبُوا الرِّزْقَ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ، وَتَذَكَّرُوا يَوْمَ الْحِسَابِ، وَإِلَيْهِ وَحْدَهُ تُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ. (*)

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْيَلَّ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِذَلِكَ الْمَاءِ الْمُخْتَلِطِ بِتُرَابِ الْأَرْضِ، أَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، وَذَلَّلَ لَكُمْ السُّفْنَ الْجَارِيَةَ عَلَى الْمَاءِ وَفَقَّ نِظَامِ الطَّفْوِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ؛ لِأَجْلِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا فِي جَلْبِ الرِّزْقِ مِنْ بَلَدٍ لِآخَرَ، وَذَلَّلَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ تَشْرَبُونَ مِنْهَا، وَتَسْقُونَ زَرْعَكُمْ، وَأَشْجَارَكُمْ، وَأَنْعَامَكُمْ، وَدَوَابَّكُمْ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ أُخْرَى.

وَذَلَّلَ اللَّهُ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ تَجْرِيَانِ دَائِمًا فِيمَا يَعُودُ إِلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ، لَا يَفْتَرَانِ عَنْ حَرَكَتِهِمَا مِنْ انْقِضَاءِ عُمُرِ الدُّنْيَا وَذَهَابِهَا، وَذَلَّلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَتَعَابَبَانِ فِي الظُّلْمَةِ وَالضِّيَاءِ، وَالنُّقْصَانِ وَالزِّيَادَةِ، تَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ وَتَسْتَرِيحُوا، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ وَتُدَبِّرُوا مَعَايِشَكُمْ. (*) (٢/).

(*) مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [سورة الملك: ١٠].

(*) (٢/ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [إبراهيم: ٣٢-٣٣].

* وَأَمَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِأَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِمَطَالِبِ دُنْيَاهُ بِالْعَمَلِ وَالْجِدِّ، أَوْ مَطَالِبِ

آخِرَتِهِ بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨].

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ عَمَلٍ نَافِعٍ مُفِيدٍ يُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ؛ فَاجْتَهِدْ فِي عَمَلٍ نَافِعٍ جَدِيدٍ،
وَأَتَعِبْ نَفْسَكَ فِيهِ، وَلَا تُخَلِّ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِكَ فَارْغَا، وَلَا تَرَكَّنْ إِلَى الرَّاحَةِ
وَالدَّعَةِ، وَإِلَى رَبِّكَ وَحْدَهُ فَتَضَرَّعْ، وَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ
مَطَالِبِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَتَرَفَّعْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى
إِجَابَتِكَ وَإِسْعَافِكَ. (*)

* وَمَنْ تَأَمَّلَ فِي خَلْقِ اللَّهِ لِمَخْلُوقَاتِهِ فِي أَرْضِهِ، وَتَسْخِيرِهَا لِلْإِنْسَانِ، يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ

الصَّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ قَامَتْ بِسَبَبِ هَذَا التَّسْخِيرِ وَالتَّنْذِيلِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ
بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا
أَتْنَا وَمتنعا إلى حين ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ
الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ
بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨٠-٨١].

اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الَّتِي هِيَ مِنَ الْحَجَرِ رَاحَةً وَاسْتِقْرَارًا
وَمَسْكَنًا تَسْكُنُونَهُ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ فِي الْحَضَرِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ

(*) مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [سورة الشرح: ٧-٨].

- وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ - خِيَامًا يَخْفُ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا فِي يَوْمِ سَيْرِكُمْ وَرَحِيلِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ، وَتَخْفُ عَلَيْكُمْ - أَيْضًا - فِي إِقَامَتِكُمْ وَحَضْرِكُمْ، وَلَا تَثْقُلْ عَلَيْكُمْ فِي الْحَالِينِ.

وَتَتَّخِذُونَ مِنْ أَصْوَابِ الضَّأْنِ وَأَوْبَارِ الْإِبِلِ وَأَشْعَارِ الْمَعَزِ أَثَانًا لِيُبَيِّتَكُمْ مِنَ الْفُرْشِ وَالْأَكْسِيَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبَلَاغًا تَمْتَعُونَ بِهِ إِلَى حِينِ الْمَوْتِ.

اسْتَدِلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى طَهَارَةِ جُلُودِ الْأَنْعَامِ الَّتِي حَلَّ أَكْلُهَا، وَطَهَارَةِ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا إِذَا جُزَّ فِي الْحَيَاةِ، وَكَذَلِكَ جِلْدُ الْمَيْتَةِ مِنَ الْأَنْعَامِ إِذَا دُبِغَ.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ ظِلَالِ الْأَبْنِيَةِ وَالْجُدْرَانِ وَالْأَشْجَارِ مَا تَسْتَظِلُّونَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِدَارِ مَا تَسْتَكِينُونَ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، كَالْأَسْرَابِ وَالْمَغَارَاتِ وَالْكُهُوفِ وَنَحْوِهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ قُمْصًا وَثِيَابًا مِنَ الْقُطْنِ وَالصُّوفِ وَالْكَتَّانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، تَمْنَعُكُمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَدُرُوعًا تَقِيكُمْ فِي الْحَرْبِ بِأَسْبَاطِكُمْ لِبَعْضِ، وَلَا تَصِلُ السُّيُوفُ وَالرَّمَاخُ إِلَى جَسَدِكُمْ مِنْ يُضْرَبُ بِشَيْءٍ مِنْهَا.

كَذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي مَا مَضَى، سَيِّمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ؛ فَيَمَكِّنْكُمْ مِنْ صُنْعِ أَشْيَاءَ لَا حَصْرَ لَهَا فِي الْعُصُورِ الْقَادِمَةِ بَعْدَ عَصْرِ التَّنْزِيلِ، مِمَّا تَوْصَلُ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ صِنَاعَاتٍ مُذْهِلَةٍ بِالْهَامِ اللَّهُ لَهُمْ؛ رَغْبَةً فِي أَنْ تُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ، وَفِي أَنْ تُسَلِّمُوا مُنْقَادِينَ لَهُ فِي شَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ. (*)

(*) مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْفَرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [سورة النحل: ٨٠-٨١].

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَأْمُرُنَا بِأَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي النَّظَرِ فِي الْأَفَاقِ وَفِي الْأَنْفُسِ، وَفِيمَا بَثَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي تَضَاعِيفِ هَذَا الْكَوْنِ مِنَ الْآيَاتِ؛ لِكَيْ نَضَعَ أَيْدِينَا عَلَى الْأَسْرَارِ الَّتِي تَرْتَقِي بِهَا الْحَيَاةُ.
فَجَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ مَا يُؤَدِّي إِلَى تَرْقِيَةِ الْإِنْسَانِ فِيَمَا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ، جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عِبَادَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَهَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ هُوَ دِينُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي أَكْمَلَهُ وَرَضِيَهُ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَهُوَ يَحْمِلُ فِي آيَاتِهِ وَتَضَاعِيفِهِ الْبَرَاهِينَ الدَّالَّةَ عَلَى صِدْقِ مَنْ أَتَى بِهِ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ} مِنْ لَدُنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَالَ السَّعْدِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١): «قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ لِهِدَايَةِ الْخَلْقِ، وَأَيَّدَهُم بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الْمُبِينَةِ لِلْحَقَائِقِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِمْ وَحَقِيقَةِ مَا جَاؤُوا بِهِ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ الَّذِي فِيهِ الْهُدَى وَالرَّحْمَةُ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ أَيْضًا الْمِيزَانَ الَّذِي هُوَ الْعَدْلُ وَمَا يُعْرَفُ بِهِ الْعَدْلُ مِنْ أُصُولِ الْعَدْلِ وَفُرُوعِهِ؛ وَذَلِكَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ إِذَا عَمِلُوا بِهَا فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ وَجَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

فَمَتَى عَمِلُوا بِمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالْمِيزَانِ صَلَحَتْ مِنْهُمْ هَذِهِ الْأُمُورُ وَاسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهُمْ.

(١) «الدَّلَائِلُ الْفُرَايِيَّةُ» (٣/ ٤٨٥ - ٤٨٦ / مَجْمُوعُ مَوْلَّاتِ السَّعْدِيِّ).

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ، فَخَصَّ مَنَافِعَهُ فِي أُمُورِ الْحَرْبِ، ثُمَّ عَمَّمَهَا فِي سَائِرِ الْأُمُورِ، فَالْحَدِيدُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِهَذِهِ الْمَنَافِعِ الصَّرُورِيَّةِ وَالْكَمَالِيَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ.

فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ - إِلَّا النَّادِرَ مِنْهَا - تَحْتَاجُ إِلَى الْحَدِيدِ، وَقَدْ سَاقَهَا اللَّهُ فِي سِيَاقِ الْإِمْتِنَانِ عَلَى الْعِبَادِ بِهَا، وَمُقْتَضَى ذَلِكَ الْأَمْرُ بِاسْتِخْرَاجِ هَذِهِ الْمَنَافِعِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَعَلُّمَ الْفُنُونِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ وَصِنَاعَةَ الْأَسْلِحَةِ وَتَوَابِعِهَا، وَالْمَرَاجِبِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْبَرِّيَّةِ وَالْهَوَائِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ الْعِبَادُ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى - السَّبْتُ

١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤ هـ / ١٩-١٠-٢٠١٣ م.

حَثُّ النَّبِيِّ عَلَى الْعَمَلِ وَتَعْمِيرِ الْأَرْضِ فِي سُنَّتِهِ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَثَّ عَلَى الْعَمَلِ، وَإِعْمَارِ الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ لَحْظَةٍ فِي الْحَيَاةِ:

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا» (١). وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ.

وَ«فَسِيلَةٌ»: هِيَ النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ.

(١) «الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ» لِلْبُخَارِيِّ (رَقْم ٤٧٩)، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا: الطَّيَالِسِيُّ فِي «الْمُسْتَد» (٣/ ٢١٨١)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْتَد» (٣/ ١٨٣ - ١٨٤ و ١٩١)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ كَمَا فِي «الْمُتَّخَبِ مِنْ مُسْنَدِهِ» (رَقْم ١٢١٦)، وَالْبَزَّازُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٤/ رَقْم ٧٤٠٨)، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ الْخَلَّالِ فِي «الْحَثُّ عَلَى التَّجَارَةِ» (رَقْم ٧٥)، وَأَبْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «مُعْجَمِهِ» (رَقْم ١٨١)، وَأَبْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (٦/ ٧٥ - ٧٦، ترجمة: عُمَرُ بْنُ حَبِيبٍ: ١٢٠٨)، وَالضَّيَاءُ فِي «الْمُخْتَارَةِ» (٧/ رَقْم ٢٧١١ و ٢٧١٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ رضي الله عنه.
وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ أَيْضًا: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ، وَأَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَأَبُو يَعْلَى الْمُوَصِّلِيُّ، كَمَا عَزَاهُ الْبُوصَيْرِيُّ فِي «إِتْحَافِ الْخَيْرَةِ الْمَهْرَةِ» (٣/ ٣٨٤، رَقْم ٢٩٤٤).
وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١/ رَقْم ٩)، وَفِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (رَقْم ٣٧١).

هَذَا فِيهِ مُبَالَغَةٌ فِي الْحَثِّ عَلَى غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ؛ لِتَبْقَى هَذِهِ الدَّارُ عَامِرَةً إِلَى آخِرِ أَمْدِهَا الْمَحْدُودِ الْمَعْلُومِ عِنْدَ خَالِقِهَا، فَكَمَا غَرَسَ لَكَ غَيْرُكَ؛ فَانْتَفَعْتَ بِهِ، فَاعْرِسْ أَنْتَ لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَكَ؛ لِتَنْتَفِعَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا صُبَابَةٌ، وَذَلِكَ بِهَذَا الْقَصْدِ لَا يُنَافِي الزُّهْدَ وَالتَّقَلُّلَ مِنَ الدُّنْيَا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ أَحَادِيثَ فِي اسْتِثْمَارِ الْأَرْضِ وَزَرْعِهَا، وَالْحَثُّ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى الْحُضِّ عَلَى الْإِسْتِثْمَارِ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْكَرِيمَةِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا؛ فَإِنَّ فِيهِ تَرْغِيبًا عَظِيمًا عَلَى اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيَجْرِي لَهُ أَجْرُهُ، وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ: «فَإِنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسَهَا»: وَهَذَا - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - يَتَطَلَّبُ زَمَانًا مَمْدُودًا؛ لِكَيْ يَتَحَصَّلَ الْمَرْءُ عَلَى نَتِيجَتِهِ وَعَائِدِهِ؛ لِأَنَّ النَّخْلَةَ يَسْتَمِرُّ نُمُوهَا حَتَّى إِثْمَارِهَا سَنَوَاتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسَهَا».

مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا يَقِينًا حِينَئِذٍ، وَلَكِنَّهُ ﷺ يُحَثُّ عَلَى غَرْسِ الْأَشْجَارِ وَحَفْرِ الْأَنْهَارِ، وَعَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ النَّافِعِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَإِنْ ظَهَرَتْ نَتَائِجُهُ وَعَوَاقِبُهُ عَلَى الْمَدَى الْبَعِيدِ، وَكَانَتْ نَتَائِجُهُ وَثِمَارُهُ بَطِيئَةً جِدًّا.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: التَّرغِيبُ الْعَظِيمُ عَلَيَّ اغْتِنَامِ آخِرِ فُرْصَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ زَرْعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَيَجْرِي لَهُ أَجْرُهُ وَتُكْتَبُ لَهُ صَدَقَتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْحَثُّ عَلَيَّ الطَّاعَةِ إِلَيَّ آخِرِ لَحْظَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ. (*)

* وَحَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ الْعَمَلِ، وَبَيَّنَ ﷺ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ عَلَيَّ نَفَقَةِ الرَّجُلِ عَلَيَّ أَهْلِهِ:

فَعَنِ الْمِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ وَزَوْجَتَكَ وَخَادِمَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَأَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السُّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَيَّ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ فِضَائِلِ الْإِسْلَامِ وَمَحَاسِنِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَا أَنْفَقْتُهُ عَلَيَّ نَفْسِكَ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا تَنْتَفِعُ بِهِ؛ يَكُونُ لَكَ فِيهِ صَدَقَةٌ، وَهَكَذَا مَا أَنْفَقْتُهُ عَلَيَّ مَنْ تَحْتَ يَدِكَ مِنْ زَوْجَةٍ، وَابْنٍ، وَخَادِمٍ وَمَمْلُوكٍ لَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَيَّ النِّيَّةِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ «شَرْحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (حَدِيثُ ٤٧٩ / ص ٢١٢٥ - ٢١٢٨).
 (١) «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» لِلْبُخَارِيِّ (رَقْمُ ١٩٥)، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا (رَقْمُ ٨٢)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ» (رَقْمُ ٢١٣٨)، وَأَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤ / ١٣١ - ١٣٢)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكُبْرَى» (٨ / رَقْمُ ٩١٤١ و ٩١٦٠)، وَلَفِظَ ابْنُ مَاجَةَ: «مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَيَّ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ».
 وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (رَقْمُ ٦٠ و ١٤٣)، وَفِي «الصَّحِيحَةِ» (١ / رَقْمُ ٤٥٢).

إِنَّ مَا أَنْفَقْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ -، وَعَلَى أَهْلِكَ وَعَلَى مَمْلُوكِكَ، وَعَلَى الْأَجِيرِ الْخَادِمِ، وَالْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ صَدَقَةٌ، كُلُّ مَا أَنْفَقْتَهُ فَلَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ.

وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ وَفَضَائِلِهِ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَيَحْتَاجُ هَذَا إِلَى النِّيَّةِ، أَي: أَنْ تَنْوِيَهُ نِيَّةً عَامَّةً فِي كُلِّ مَا أَنْفَقْتَ مِنْ مَالِكَ فِي وُجُوهِ الْحَلَالِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ: الْمَطْعَمُ وَالْمَشْرَبُ، وَالْمَسْكَنُ وَالْمَرْكَبُ تَحْتَسِبُهُ فَلَكَ فِيهِ صَدَقَاتٌ جَارِيَةٌ.

وَهَكَذَا إِذَا قَدَّمْتَ إِحْسَانًا تَحْتَسِبُ فِيهِ الْأَجْرَ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا أَجْرَ إِلَّا عَنِ حِسْبَةٍ» - صَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» - (١)؛ أَي: لِمَنْ يَحْتَسِبُ، وَهُوَ بِمَعْنَى حَدِيثِ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (٢)؛ أَي: تَنْوِي إِذَا قَدَّمَ لَكَ الطَّعَامَ مِنْ حَلَالٍ أَنْ تَنْوِي فِي هَذَا الطَّعَامِ أَنَّكَ تُحْسِنُ بِهِ إِلَيَّ نَفْسِكَ،

(١) أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (٤ / ٢٠٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَةِ» (٥ / رَقْم ٢٤١٥) لِلْأَلْبَانِيِّ، وَصَحَّحَهُ بِشَوَاهِدِهِ.

وَالْحَدِيثُ رُوِيَ بِنَحْوِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِلَفْظٍ: «... لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ، وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ»، أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكَبْرَى» (١ / ٤١، رَقْم ١٧٩)، وَالْخَطِيبُ فِي «الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّائِي» (رَقْم ٦٨٦)، وَرُوِيَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّامِيِّ، مُرْسَلًا، بِلَفْظٍ: «لَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ»، أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الرُّهْدِ» (رَقْم ١٥٢)، بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ١، و٥٤) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ (١٩٠٧)، مِنْ حَدِيثِ: عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَتَتَقَوَّى بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَقَضَاءِ حَاجَاتِكَ الْمُبَاحَةِ وَالشَّرْعِيَّةِ؛ فَيَكُونُ لَكَ فِي هَذَا الطَّعَامِ أَجْرٌ.

وَهَذَا تَكْرُمٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ وَإِحْسَانٌ وَإِفْضَالٌ، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ أَكَلَ مِنْ مَائِدَتِكَ، وَكُلُّ مَنْ شَرِبَ مِمَّا كَسَبْتَ يَدُكَ لَكَ فِيهِ أَجْرٌ.

وَهَذَا جَاءَ مُوضَّحًا فِي الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَذَا الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ، وَأَنَّ هَذَا الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى لَا يَضِيعُ مِنْ عَمَلِهِ شَيْءٌ أَبَدًا، حَتَّى هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ وَيَحْفَظُ صِحَّتَهُ وَبِنِيَّتِهِ، وَيَحْفَظُ وَلَدَهُ لَهُ فِيهِ الْأَجُورُ الْمُضَاعَفَةُ؛ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ: لِلشَّيْخِ الْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسْلَانَ

التَّوَكُّلُ وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ فِي الْعَمَلِ

* النَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ لِلأُمَّةِ ضَرُورَةَ الْعَمَلِ، عَامِلِينَ بِقَاعِدَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ؛ هُمَا: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ، وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ:

فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه - فِيمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ -، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَمَّا إِنَّكُمْ لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا»^(١).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَاعِدَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ فِي أَصْلِ هَذَا الدِّينِ:
* الْأُولَى: هِيَ قَاعِدَةُ التَّوَكُّلِ.

* وَالثَّانِيَةُ: قَاعِدَةُ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ.

وَالْحَدِيثُ يُفْهَمُ فَهَمًّا مَضْبُوطًا، وَلَا عُدْرَ لِأَحَدٍ فِي فَهْمِهِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الْمَغْلُوطِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ بِنَفْسِهِ فِيهِ الدَّلَالَةُ عَلَى وُجُوبِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، فَإِنَّ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ» (رَقْمُ ٢٣٤٤)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ» (رَقْمُ ٤١٦٤)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١/ رَقْمُ ٣١٠).

الطَّيْرَ فِي الْوُكُنَاتِ وَفِي الْأَعْشَاشِ لَا تَبْقَى فِي أَعْشَاشِهَا، وَإِنَّمَا تُبَكِّرُ فِي الذَّهَابِ لِالْتِقَاطِ رِزْقِهَا.

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ اللَّهُ كَمَا يَرِزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو...»: وَالغَدُوُّ: هُوَ الْخُرُوجُ فِي بُكْرَةِ النَّهَارِ، فَتَغْدُو هَذِهِ الطُّيُورُ مِنْ أَعْشَاشِهَا وَوُكُنَاتِهَا؛ مِنْ أَجْلِ الْتِقَاطِ رِزْقِهَا مُبَكَّرَةً مَعَ خِيُوطِ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ، سَاعِيَةً فِي أَرْضِ اللَّهِ، لَكِنَّهَا لَا تَحْمَلُ لِرِزْقِهَا هَمًّا، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَرِزُقُهَا كَمَا رَزَقَهَا الْحَيَاةَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْيَا أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ رِزْقٍ.

وَالْحَيَاةُ وَالْأَجَلَ يَرْتَبِطَانِ بِالرِّزْقِ ارْتِبَاطًا مُبَاشَرًا، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَحْيَا كَائِنٌ حَيًّا بِغَيْرِ رِزْقٍ، يَقُولُ النَّاسُ: «فُلَانٌ حَيٌّ يَرِزُقُ»، وَلَكِنْ تَجِدُ أَبَدًا أَنَّ فُلَانًا حَيٌّ لَا يَرِزُقُ، فَارْتِبَاطُ الْأَجَلِ بِالرِّزْقِ أَمْرٌ حَتْمِيٌّ بِصَيْرُورَةٍ تَمْضِي إِلَى الْمَوْتِ، وَحَيْثُ لَا أَجَلَ وَلَا رِزْقَ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ يَبِينُ لَنَا أَنَّ الطُّيُورَ تَغْدُو مُبَكَّرَةً مِنْ أَعْشَاشِهَا، تَطْلُبُ رِزْقَهَا، تَلْتَقِطُهُ فِي جَنَابَاتِ الْأَرْضِ، لَا تَحْمَلُ لَهُ هَمًّا.

وَ«خِمَاصًا»: جَمْعُ أَخْمَصٍ، وَهَذِهِ الْحَوَاصِلُ الْخُمْصُ قَدْ التَزَقَتْ لِحُومِهَا بِبَعْضِهَا، بِحَيْثُ إِنَّهَا لَا تَحْوِي شَيْئًا.

«تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بَطَانًا»: وَقَدْ امْتَلَأَتْ بَطُونُهَا وَحَوَاصِلُهَا، مِنْ أَيْنَ؟!!!

مِنْ رِزْقِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا!!

هَلْ قَدَّرْتَ لِذَلِكَ تَقْدِيرًا؟!!!

هَلْ وَضَعْتَ لَهُ خُطَّةً لِلْعَمَلِ؛ مِنْ أَجْلِ اكْتِسَابِهِ!!؟

إِنَّمَا أَخَذْتَ بِالْأَسْبَابِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ مَعَ التَّوَكُّلِ عَلَى رَبِّ الْأَسْبَابِ، بِحَيْثُ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَخْرُجُ مِنْ قَيْدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِيهِ مَدْخُلٌ، وَيَدْخُلُ فِي أَسْرِ الْعُبُودِيَّةِ، فَهَذَا هُوَ التَّوَكُّلُ، أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ، لَا يَدَّعِي رِزْقًا، وَلَا يَدَّعِي حَوْلًا وَلَا حِيلَةً؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُهُ وَهُوَ رَازِقُهُ، وَهُوَ مَالِكُ أَمْرِهِ، وَنَاصِيَتُهُ بِيَدِهِ.

وَهُوَ يَفْعَلُ بِهِ مَا يَشَاءُ عَلَى مُقْتَضَى حِكْمَتِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ فِيهِ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ فِيهِ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ فَهَذَا مَوْكُولٌ إِلَى الْعَبْدِ، وَلَا يُعْوَلُ الْمَرْءُ عَلَى السَّبَبِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَأْخُذُونَ كَثِيرًا بِالْأَسْبَابِ وَلَا يُحْصِلُونَ شَيْئًا مِنَ النَّتَائِجِ.

وَلِنَعْلَمَ جَمِيعًا أَنَّ هَذَا الْكُونُ عَامِرٌ بِالْكَائِنَاتِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، وَكُلُّهَا مَرْزُوقٌ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهُوَ أَمْرٌ عِنْدَمَا يَتَأَمَّلُ الْمَرْءُ فِيهِ يَكَادُ عَقْلُهُ يَذْهَبُ مِنْهُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَّصِرَ -مَثَلًا- وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكَائِنَاتِ الْبَحْرِيَّةَ الَّتِي تَحْيَا فِي الْبِحَارِ وَالْمُحِيطَاتِ هِيَ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنَ الْكَائِنَاتِ الْبَرِّيَّةِ بِمَا لَا يُقَاسُ، وَكُلُّهَا مَرْزُوقَةٌ، وَلِكُلِّ مِنْهَا دَوْرَةٌ حَيَاةٍ، تُوَلَّدُ بِالْمِيلَادِ الَّذِي قَدَرَهُ اللَّهُ، ثُمَّ تَمْضِي فِي حَيَاتِهَا بِرِزْقٍ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ تَغْذِيَّةٍ أَوْ نَفْسٍ أَوْ إِخْرَاجٍ، تَتَكَثَّرُ أَوْ لَا تَتَكَثَّرُ، ثُمَّ يَنْتَهِي أَجْلُهَا عِنْدَ حَدِّ حَدِّهِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَسَارِبُهَا فِي الْحَيَاةِ مَحْسُوبَةٌ.

* وَتَأَمَّلْ فِي رِزْقِ النَّمْلِ، وَهُوَ مِثَالٌ عَجِيبٌ!!

هَذَا النَّمْلُ الَّذِي تَرَاهُ مِنْ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ كُلُّهُ مَخْلُوقٌ بِخَلْقِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا
وَبِقُدْرَتِهِ، بَدَأَ بِبِدَايَةِ مُعَيَّنَةٍ -بِدَايَةِ الْخَلْقِ لَهُ- بِكُلِّ نَمْلَةٍ نَمْلَةٍ، مِمَّا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا
اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، ثُمَّ تَمَّضِي فِي حَيَاتِهَا مَرُزُوقَةً بِرِزْقِهَا، فَتَنْمُو شَيْئًا فَشَيْئًا، تَتَكَاثَرُ أَوْ لَا
تَتَكَاثَرُ، ثُمَّ إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا انْتَهَى عُمْرُهَا. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «قَضِيَّةُ الرُّزْقِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٨ هـ/

احذَرِ مِنَ الْبَطَالَةِ، وَمِنَ الْفَارِغِينَ!!

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ الْجُنْدِيَّ الَّذِي يُعَانِي مِنَ الْبَطَالَةِ يُجِيدُ الْمُسَاغَبَاتِ!!

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَجْعَلُ أَصْحَابَهُ عَلَى الْمَحَكِّ الْعَمَلِيِّ قَائِمِينَ. (*)

وَكَانَ مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الرَّاسِخِينَ مَنْ إِذَا اشْتَغَلَ بِبِرِّي قَلَمٍ؛ تَمَتَّمَتْ شَفَتَاهُ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَلَا يُضَيِّعُ الْوَقْتَ بَيْنَ انْقِطَاعِهِ عَنِ الْكِتَابَةِ وَالتَّحْرِيرِ وَبِرِّي قَلَمِهِ؛ اسْتِعْدَادًا لِكِتَابَةِ جَدِيدَةٍ.

كَانُوا كَذَلِكَ يَصْنَعُونَ، بَلْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ يُعَدُّ لِلْبَطَالِينَ -الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَزُورُونَ إِخْوَانَهُمْ فِي اللَّهِ؛ مَحَبَّةً فِيهِ، وَهُمْ إِنَّمَا يَقْطَعُونَ أَوْقَاتَ الْفَرَاغِ عَنْ حَقِيقَةِ مَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِيهِ-.

هُمُ مِنَ الْبَطَالِينَ الْفَارِغِينَ، يَزُورُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَخَاهُ؛ لِيُضَيِّعَ عَلَيْهِ رَأْسَ الْمَالِ فِي الْحَيَاةِ مِنْ غَيْرِ مَا فَائِدَةٍ وَلَا عَائِدَةٍ، بَلْ يُورِّطُهُ فِي كَذِبٍ وَغِيْبَةٍ وَتَقْطِيعِ لِأَرْحَامٍ وَمَا أَشْبَهَهُ!!

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مَقْطَعٍ بِعُنْوَانٍ: «الْجُنْدِي الَّذِي يُعَانِي مِنَ الْبَطَالَةِ يُجِيدُ الْمُسَاغَبَاتِ».

وَكُنْ مِنَ النَّاسِ عَلَى حَذَرٍ، وَكُنْ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً عَلَى حَذَرٍ،
أَحْذَرُهُمْ وَلَا تَخَوَّنُهُمْ، وَلَكِنْ كُنْ مِنْهُمْ عَلَى حَذَرٍ، فَقَلَّ مَنْ يُرِيدُ لَكَ الْخَيْرَ،
وَيَحْرُسُ عَلَيْكَ، وَيَرْجُو لَكَ النِّفْعَ، وَيَقْدِمُهُ لَكَ.

اتَّقِهِمْ مَا شِئْتَ وَمَا اسْتَطَعْتَ، وَلَا تُضَيِّعْ حُقُوقَهُمْ عَلَيْكَ، عَلَّمَهُمْ إِنْ كُنْتَ
عَالِمًا، وَادْعُهُمْ إِنْ كُنْتَ دَاعِيًا، وَأَعْطِهِمْ إِنْ كُنْتَ وَاجِدًا، وَانصَحَهُمْ إِنْ كُنْتَ
بِالْمَعْرُوفِ آمِرًا، وَازْجُرَّهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ إِنْ كُنْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيًا، وَقَدِّمْ لَهُمْ
الْخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتَ، وَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى حَذَرٍ-.

كَانَ بَعْضُ سَلَفِنَا مِنْ عُلَمَائِنَا -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- يُعِدُّ لِلْبَطَالِينِ الْفَارِغِينَ -
الْمُبَدِّدِينَ لِلْأَوْقَاتِ- إِذَا مَا زَارَهُ الْوَرَقَ؛ لِيَقْطَعَهُ بِسِكِّينِ الْوَرَقِ، وَالْأَقْلَامَ لِيَبْرِئَهَا
لَهُ، وَالْمِدَادَ لِيُعِدَّهُ لَهُ؛ فَيَشْغَلُهُ فِي آلَةِ الْعِلْمِ، وَهِيَ تَسْتَعْرِقُ مِنْ زَمَانِهِ زَمَانًا؛ فَيَكُونُ
قَدْ رَبِحَ زَمَانَهُ وَزَمَانَ زَائِرِهِ، حَتَّى لَا يَتَبَدَّدَ فِي غَيْرِ طَائِلٍ، وَحَتَّى لَا يَعُودَ عَلَيْهِ
بِالْخُسْرَانِ -خُسْرَانِ الْمَالِ وَالْحَالِ-! (*).



(*): مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَضْيِيعُ الْأَوْقَاتِ فِي رَمَضَانَ» - ٣ مِنْ رَمَضَانَ عَامَ ١٤٣١ هـ/

حُضُّ الْإِسْلَامِ عَلَى التَّرَقِّي فِي الْعُلُومِ وَالصَّنَاعَاتِ

عِبَادَ اللَّهِ! دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ يَحُضُّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّرَقِّي فِي الْعُلُومِ،
وَفِي النَّظَرِ فِي آفَاقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَعَلَى النَّظَرِ فِي الْأَنْفُسِ، بَلْ وَعَلَى
النَّظَرِ فِيمَا تَحْتَ الثَّرَى، وَهُوَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مَنْ وَصَلَ مِمَّنْ نَظَرُوا فِي أَمْثَالِ هَذَا
الْأَمْرِ الَّذِي حَدَّدَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَهُوَ مَا تَحْتَ الثَّرَى، فَاسْتَخْرَجُوا الْمَعَادِنَ،
وَاسْتَخْرَجُوا تِلْكَ الْمَادَّةَ الَّتِي صَارَتْ طَاقَةً لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْعَالَمُ الْيَوْمَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ إِشَارَةً مُجْمَلَةً ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦].

فَالْمُسْلِمُونَ لَمَّا أَخَذُوا بِتَعَالِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَقَدَّمُوا حَتَّى مَلَكَوا الْعَالَمَ
الْقَدِيمَ كُلَّهُ.

قَالَ الْعَلَامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «فَهَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ يَحُثُّ عَلَى الرُّقِيِّ
الصَّحِيحِ وَالْقُوَّةِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، عَكْسَ مَا افْتَرَاهُ أَعْدَاؤُهُ أَنَّهُ -أَيُّ: الْإِسْلَامُ-
مُخَدَّرٌ مُفْتَرٌّ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ كَذِبَهُمْ وَافْتِرَاءَهُمْ عَنْهُ، وَلَكِنَّ الْمُبَاهَتَاتِ وَالْمُكَابَرَاتِ
سَهَّلَتْ عَلَيْهِمْ، وَظَنُّوا مِنْ جَهْلِهِمْ أَنَّهَا تَرُوجُ عَلَى الْعُقَلَاءِ.

(١) «الدلائل القرآنية» (٣/ ٤٨٦ / مجموع مؤلفات السعدي).

وَكُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ كَذِبَهُمْ وَافْتِرَاءَهُمْ، وَإِنَّمَا يَغْتَرُّ بِهِمُ الْجَاهِلُونَ الصَّالُونَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ لَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، بَلْ يُصَوِّرُ لَهُمْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ الْإِسْلَامَ بِصُورٍ شَنِيعَةٍ؛ لِيُرْجُوا مَا يَقُولُونَهُ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِلَّا فَمَنْ عَرَفَ الْإِسْلَامَ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً عَرَفَ أَنَّهُ لَا تَسْتَقِيمُ أُمُورُ الْبَشَرِ دِينِيهَا وَدُنْيُوتُهَا إِلَّا بِهِ، وَأَنَّ تَعَالِيمَهُ الْحَكِيمَةَ أَكْبَرَ بُرْهَانٍ عَلَى أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، عَالِمٍ بِالْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَحِيمٍ بِعِبَادِهِ، حَيْثُ شَرَعَ لَهُمْ هَذَا الدِّينَ». (*).

عِبَادَ اللَّهِ! فَلْيَجْتَهِدِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي آدَاءِ عَمَلِهِ عَلَى النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قَدْ جَعَلَ لِلنَّاسِ مَعَ النَّاسِ الْمَنَافِعَ الَّتِي لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ. (* / ٢).

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي أَنْفُسِكُمْ عِبَادَ اللَّهِ، أَدُّوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْمَرْضِيِّ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (* / ٣).

عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي دِينِهِمْ، وَفِي إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفِي بَلَدِهِمْ، وَفِي مُسْتَقْبَلِ أبنَائِهِمْ وَحَفَدَتِهِمْ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. (* / ٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى - السَّبْتُ

١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤ هـ / ١٩-١٠-٢٠١٣ م.

(* / ٢) مِنْ سِلْسِلَةِ: «أَكْلُ الْحَلَالِ» - الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَّةُ.

(* / ٣) مِنْ سِلْسِلَةِ: «أَكْلُ الْحَلَالِ» - الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَى.

(* / ٤) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُلَخَّصٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «خُطُورَةُ الْإِحْتِكَارِ عَلَى الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ» -

الْجُمُعَةُ ٢٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧ هـ / ٣٠-٩-٢٠١٦ م.

أَهْمِيَّةُ التَّخْطِيطِ، وَدَلَالَتُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ

* فَالتَّخْطِيطُ الْمُسْتَقْبَلِيُّ لِلْأُمَّةِ يَكُونُ اقْتِصَادِيًّا مَالِيًّا، وَزِرَاعِيًّا، وَتَمْوِينِيًّا، وَعَسْكَرِيًّا حَرْبِيًّا.

وَمِنْ دَلَالِ التَّخْطِيطِ الْاِقْتِصَادِيِّ، وَالزَّرَاعِيِّ، وَالتَّمْوِينِيِّ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى حِكَايَةً لِمَا حَدَّثَ لِيُوسُفَ عليه السلام مَعَ مَلِكِ مِصْرَ: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا حَصَّنْتُمْ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٣-٤٩].

وَقَالَ مَلِكُ مِصْرَ إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ، وَسَبْعَ بَقَرَاتٍ فِي غَايَةِ الْهَزَالِ، فَابْتَلَعَتِ الْعِجَافُ السَّمَانَ، وَدَخَلْنَ فِي بُطُونِهِنَّ، وَلَمْ يَرِ مِنْهُنَّ شَيْءٌ،

وَلَمْ يَتَبَيَّنْ عَلَى الْهَزِيلَاتِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَرَأَيْتُ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضِرَ قَدْ انْعَقَدَ حَبُّهَا،
وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ أُخْرَ يَابِسَاتٍ قَدْ اسْتُحْصِدَتْ، فَالْتَوَتْ الْيَابِسَاتُ عَلَى الْخُضْرِ
حَتَّى عَلَوْنَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ قُدْرَتِهَا شَيْءٌ.

يَا أَيُّهَا السَّادَةُ وَالْكِبْرَاءُ! يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ! أَخْبِرُونِي بِتَأْوِيلِ رُؤْيَايَ الْخَطِيرَةَ،
وَعَبْرُوهَا لِي، وَادْكُرُوا بَعْدَهَا الْوَاقِعِيَّ فِي هَذَا الْكَوْنِ، إِنْ كُنْتُمْ تُحْسِنُونَ عِلْمَ
الْعِبَارَةِ وَتَفْسِيرِ رُمُوزِ الْأَحْلَامِ.

قَالَ الْمَلَأُ مِنَ السَّحَرَةِ وَالْكَهَنَةِ وَالْمُعَبِّرِينَ مُجِيبِينَ الْمَلِكِ: رُؤْيَاكَ هَذِهِ
أَخْلَاطٌ مُشْتَبِهَةٌ، وَمَنَامَاتٌ مُتَدَاخِلَةٌ بَاطِلَةٌ، وَمَا نَحْنُ بِتَفْسِيرِ الْمَنَامَاتِ بِعَالِمِينَ.

وَقَالَ السَّاقِي الَّذِي نَجَا مِنَ الْقَتْلِ بَعْدَ هَلَاكِ صَاحِبِهِ الْخَبَّازِ، وَتَذَكَّرَ قَوْلَ
يُوسُفَ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ «ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ»، قَالَ: أَنَا أَخْبِرُكُمْ بِتَأْوِيلِ
هَذِهِ الرُّؤْيَا، إِذْ اسْتَفْتَيْتَنِي فِيهَا السَّجِينُ الْعَبْرَانِيُّ الَّذِي كُنْتُ مُصَاحِبًا لَهُ فِي سَجْنِ
رَئِيسِ الشُّرْطَةِ، فَأَرْسَلَنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَى السَّجْنِ، فَفِيهِ رَجُلٌ عَالِمٌ يُعَبِّرُ الرُّؤْيَا،
فَأَرْسَلَهُ، فَأَتَى السَّجْنَ.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ: يَا يُوسُفَ، أَيُّهَا الْعَظِيمُ الصِّدْقِ فِي كَلَامِكَ
وَتَأْوِيلِكَ وَسُلُوكِكَ وَتَصَرُّفَاتِكَ وَصُحْبَتِكَ، فَسِّرْ لَنَا رُؤْيَا مَا رَأَيْتُ: سَبْعُ بَقَرَاتٍ
سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ بَقَرَاتٍ هَزِيلَاتٍ، وَرَأَيْتُ سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضِرَ وَأُخْرَ يَابِسَاتٍ،
فَإِنَّ الْمَلِكَ رَأَى هَذِهِ الرُّؤْيَا، لَعَلِّي أَرْجِعُ بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الرُّؤْيَا إِلَى الْمَلِكِ وَجَمَاعَتِهِ؛
لِيَعْلَمُوا تَأْوِيلَ مَا سَأَلْتِكَ عَنْهُ، وَلِيَعْلَمُوا مَكَانَتَكَ وَفَضْلَكَ.

لَمْ يَشْتَرِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا مَضَى فِي تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا، كَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ لَوْ كَانَ سِوَاهُ لِقَالَ: لَا أَعْبُرُ لَكُمْ الرُّؤْيَا حَتَّى أَخْرَجَ مِنْ هَذَا الْحَبْسِ، أَوْ حَتَّى يَرُدَّ إِلَيَّ حَقِّي، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَفَادَهُمْ وَأَرَادَ نَفْعَهُمْ.

قَالَ يُوسُفُ مُعَبَّرًا لِتِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي تُشِيرُ إِلَى الْوَضْعِ الزَّرَاعِيِّ وَالِاِقْتِصَادِيِّ وَالْمَالِيِّ خِلَالَ الْخَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً الْقَادِمَةَ، بِمَا فِيهَا مِنْ رَخَاءٍ، ثُمَّ قَحْطٍ، ثُمَّ غَوْثٍ، أزرَعُوا سَبْعَ سِنِينَ بِحِدٍّ وَاجْتِهَادٍ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ عَلَى عَادَتِكُمْ الْمُسْتَمِرَّةِ فِي الزَّرَاعَةِ، فَمَا حَصَدْتُمْ مِنَ الْحِنْطَةِ فَاتْرُكُوهُ فِي سُنْبِلِهِ؛ لِئَلَّا يَفْسُدَ وَيَقَعَ فِيهِ السُّوسُ، وَاحْفَظُوا أَكْثَرَهُ لَوَقْتِ الْحَاجَةِ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَهُ مِنَ الْحُبُوبِ.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ الدَّابِّ فِي الزَّرَاعَةِ -زِرَاعَةِ الْأَقْوَاتِ وَادِّخَارِهَا- طَوَالَ السِّنِينَ السَّبْعِ الْمُخَصَّبَةِ، يَأْتِي سَبْعَ سِنِينَ مُجْدِبَةٍ، تَكُونُ مُمَحِلَّةً شَدِيدَةً عَلَى النَّاسِ، يَأْكُلُ النَّاسُ وَتَأْكُلُ مَوَاشِيَهُمْ فِيهَا مَا زَرَعْتُمْ وَادِّخَرْتُمْ لَهْنٍ مِنَ الطَّعَامِ فِي سَنَاتِ الْخِصْبِ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْفَظُونَهُ وَتَدَّخِرُونَهُ؛ اِحْتِيَاطًا لِلطَّوَارِئِ الْمُلْجِئَةِ الَّتِي قَدْ يُسْمَحُ فِيهَا بِالْأَخْذِ مِنَ الْاِحْتِيَاطِيِّ بِمَقَادِيرِ الضَّرُورَةِ.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصُرُونَ﴾: لَيْسَ فِي الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا الْمَلِكُ أَدْنَى إِشَارَةٍ إِلَى عَامِ الْغَوْثِ هَذَا، فَهَذَا التَّأْوِيلُ عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فِيهَا سَبْعٌ مِنَ السَّنَاتِ -كَمَا أَوَّلَ- يَكُونُ فِيهَا الْخِصْبُ، ثُمَّ سَبْعٌ مِنَ السَّنَاتِ يَكُونُ فِيهَا الْجَدْبُ، وَلَيْسَ فِي الرُّؤْيَا أَدْنَى إِشَارَةٍ إِلَى عَامِ الْغَوْثِ هَذَا.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ هَذِهِ السِّنِينَ الْمُجْدِبَةِ عَامٌ تَرْجِعُ فِيهِ تَصَارِيفُ الْكُونَ إِلَى مِثْلِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً، وَفِيهِ تَنْزِلُ الْأَمْطَارُ النَّافِعَةُ الَّتِي يُنْبِتُ اللَّهُ

بِهَا الزُّرُوعَ، وَفِيهَا يَعْصِرُونَ مَا شَأْنُهُ أَنْ يُعْصَرَ مِنْ نَحْوِ الْعِنَبِ وَالزَّيْتُونِ وَالْقَصَبِ، وَتَكْثُرُ النِّعَمُ عَلَى النَّاسِ.

لَمْ يَكْتَفِ يُوسُفُ عليه السلام بِتَعْيِيرِ الرُّؤْيَا، بَلْ بَادَرَ فَوَضَعَ لَهُمْ خُطَّةَ عَمَلٍ لِمُوَاجَهَةِ سَنَوَاتِ الْقَحْطِ وَالْجَفَافِ، وَهِيَ خُطَّةٌ اقْتِصَادِيَّةٌ تَتَنَاوَلُ الْحَيَاةَ الزَّرَاعِيَّةَ وَالتَّمْوِينِيَّةَ لِلْأُمَّةِ خِلَالَ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً تَأْتِي عَلَى اسْتِقْلَالِ (*).

* وَأَمَّا التَّخْطِيطُ وَالْإِعْدَادُ الْعَسْكَرِيِّينَ؛ لِحِمَايَةِ الْأُمَّةِ وَمَقَدَّسَاتِهَا وَثَرَوَاتِهَا:

فَقَدْ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وَأَعِدُّوا يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ لِقِتَالِ الْكَافِرِينَ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْأَسْلِحَةِ وَالْأَلَاتِ الَّتِي تَكُونُ لَكُمْ قُوَّةً فِي الْحَرْبِ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ.

وَأَعِدُّوا مَا تَسْتَطِيعُونَ مِنَ الْخَيْلِ الْمَرْبُوطَةِ الْمُجَهَّزَةِ؛ لِلْهُجُومِ وَالْإِنْقِضَاصِ عَلَى الْعَدُوِّ بَعْدَ إِثْخَانِهِ وَتَدْمِيرِهِ بِقُوَّةِ الرَّمْيِ، تُخَوِّفُونَ بِتِلْكَ الْقُوَّةِ الْمُرْهِبَةِ، وَذَلِكَ الرِّبَاطُ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَتُرْهِبُونَ آخِرِينَ مِنْ غَيْرِ الْأَعْدَاءِ الظَّاهِرِينَ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ، لَا تَظْهَرُ لَكُمْ عَدَاوَتُهُمْ الْآنَ، لَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُمْ.

وَإِعْدَادُ الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْإِنْفَاقِ الْمَالِيِّ، فَانْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ أَجْرُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيَعْجَلُ لَكُمْ

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [سورة

عَوْضُهُ فِي الدُّنْيَا؛ بَرَكَةً فِي رِزْقِكُمْ وَنَمَاءً فِي أَمْوَالِكُمْ، وَأَنْتُمْ لَا تَنْقُصُونَ مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا. (*)

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَحٰذُوا حٰذِرِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، هَذَا يَتَنَاوَلُ الْأَمْرَ بِإِعْدَادِ الْمُسْتَطَاعِ مِنَ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَيَقْتَضِي أَخْذَ الْحَذَرِ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ وَبِكُلِّ طَرِيقٍ، فَجَمِيعُ الصَّنَاعَاتِ الدَّقِيقَةِ وَالْجَلِيلَةِ وَالْمُخْتَرَعَاتِ وَالْأَسْلِحَةِ وَالتَّحْصَنَاتِ دَاخِلَةٌ فِي هَذَا الْعُمُومِ» (١). (*) (٢).

* بَعْضُ دَلَائِلِ التَّخْطِيطِ وَالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

عِبَادَ اللَّهِ! لَمَّا أذِنَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِالْهِجْرَةِ، وَكَانَتْ جَوْدَةٌ الْإِعْدَادِ وَدِقَّةُ الْإِسْتِعْدَادِ ظَاهِرَةً جَلِيلَةً، وَلَا نَقُولُ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يَسْتَعِدُّ لِهَذَا الْحَدَثِ الْعَظِيمِ اسْتِعْدَادَ بَشَرٍ، وَلَكِنَّمَا هُوَ اسْتِعْدَادُ بَشَرٍ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُؤَيَّدًا بِالْوَحْيِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَبِخَاصَّةٍ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيمَةِ الْفَارِقَةِ. (*) (٣).

فِي الْهِجْرَةِ يَأْخُذُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَسْبَابِ جَمِيعًا مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ سَيَعْصِمُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَمْ يَكُنْ لِيُسَلِّمَهُ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا

(*) مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [سورة الأنفال: ٦٠].

(١) «الدَّلَائِلُ الْقُرْآنِيَّةُ» (٣ / ٤٨٦ / مجموع مؤلفات السَّعْدِيِّ).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ - بِإِخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ - مِنْ «شَرْحِ الدَّلَائِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَعْمَالَ النَّافِعَةَ الْعَصْرِيَّةَ دَاخِلَةٌ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ» - الْمُحَاصِرَةُ الْأُولَى - السَّبْتُ

١٤ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤ هـ / ١٩ - ١٠ - ٢٠١٣ م.

(*) (٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «دُرُوسٌ مِنَ الْهِجْرَةِ» - ١٦ - ٥ - ١٩٩٧ م.

أَرَادَ الْهَجْرَةَ خَرَجَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فِي وَقْتِ الْقَيْلُولَةِ، وَمَا كَانَ يَذْهَبُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ قَطُّ^(١).

فَدَخَلَ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ خَوْخَةٍ هُنَاكَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَوْ كَانَ هُنَاكَ رَقَبٌ وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ اسْتِخْبَارَاتٌ مِنْ قُرَيْشٍ تَرْقُبُ مُحَمَّدًا وَصَاحِبَهُ - ﷺ وَالرَّسُولَ، وَرَضِيَ عَنْهُ -؛ فَمَا كَانَتْ لِتَعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَيَدْخُلُ مِنْ بَابِ أَبِي بَكْرٍ وَيَخْرُجُ مِنْ ظَهْرِ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ - مِنْ بَابِ هُنَاكَ فِي ظَهْرِ الْبَيْتِ مِنْ خَوْخَةٍ هُنَاكَ -، فَخَرَجَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ، إِلَى أَيْنَ؟

الْقَوْمُ يَتَوَقَّعُونَ أَنَّ النَّبِيَّ سَيَذْهَبُ إِلَى الشَّمَالِ ﷺ - يَعْنِي إِلَى يَثْرَبَ وَكَانَتْ تَسْمَى كَذَلِكَ - إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَالَفَ تَوَقُّعَاتِ الْقَوْمِ وَأَصْعَدَ بِهِمْ إِلَى الْجَنُوبِ ﷺ خَمْسَةَ أَمْيَالٍ هُنَاكَ فِي غَارِ ثَوْرٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (رَقْم ٣٩٠٥) وَمَوَاضِعَ، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: بَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهْيِرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَّقِنًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءُ لَهْ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ... الْحَدِيثَ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيَرَةِ» (١/ ٤٨٤ - ٤٨٥)، وَالطَّبْرِيُّ فِي «تَارِيخِهِ» (٢/ ٣٧٨)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي تَرْجَمَةِ: عَامِرِ بْنِ فَهَيْرَةَ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٤/ رَقْم ٥١٥٣)، بِإِسْنَادٍ حَسَنِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «لَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخُرُوجَ أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ لِأَبِي بَكْرٍ فِي ظَهْرِ بَيْتِهِ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى غَارِ بَثُورٍ - جَبَلٍ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ - فَدَخَلَاهُ،...» الْحَدِيثَ.

وَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَمَا كَانَتْ أَوَامِرُهُ وَأَوَامِرُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَسْمَاءَ بِأَنْ تَأْتِي بِالزَّادِ؛ لِأَنَّ عَيْنَ الْقَوْمِ رُبَّمَا لَمْ تَلْحَظْهَا، وَلِأَنَّ عَيْنَ الْقَوْمِ رُبَّمَا لَمْ تَذْهَبْ إِلَى أَنَّهَا فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ يُمَكِّنُ أَنْ تَخْرُجَ بِزَادٍ وَمَاءٍ - وَهِيَ الْحَامِلُ فِي شَهْرِهَا الْأَخِيرَةِ - إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَيْنًا عَلَيْهِمْ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى هَذِهِ الْمُهْمَةِ، فَيَأْتِي بِالْأَخْبَارِ ثُمَّ يَذْهَبُ بِلَيْلٍ إِلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ ﷺ هُنَاكَ فِي الْغَارِ، فَيُخْبِرُ النَّبِيَّ ﷺ بِنَبَأِ الْقَوْمِ.

وَأَمَّا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ فَيَأْتِي بِأَغْنَامٍ لَهُ، فَإِذَا مَا ذَهَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَذَهَبَتْ أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جَاءَ بِالْأَغْنَامِ وَرَاءَ آثَارِ الْأَقْدَامِ حَتَّى تُعْفِيَ عَلَى آثَارِ الْأَقْدَامِ، فَكَذَلِكَ يَكُونُ الْعَمَلُ.

ثُمَّ ظَلَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، لَمْ يَتَعَجَّلْ بِالْخُرُوجِ حَتَّى يَخْفَ الطَّلَبُ، وَلَمْ يَخْرُجِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ الثَّلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَمْ يُطَلْ فِي الْغَارِ الْمُكْتَبُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ لَوْ ظَلَّ لَكَانَ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى مَعْرِفَةِ مَا تَفْعَلُ أَسْمَاءُ، وَمَا يَفْعَلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١).

ثُمَّ انظُرْ إِلَى التَّائِيدِ، وَمَا كَانَ مِنْ نُصْرَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا ۗ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (رَقْم ٣٩٠٥ و ٥٨٠٧)، مِنْ حَدِيثِ: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَأَيْدَهُ، يَجُودُ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ
 وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التَّوْبَةُ: ٤٠]. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «مِنْ أَحْدَاثِ الْهَجْرَةِ» - ٢٤ / ٤ / ١٩٩٨ م.

الْعَمَلُ وَالتَّخْطِيطُ لِلْمُسْتَقْبَلِ الدِّيْنِيِّ وَالْأَخْرَوِيِّ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُنَا أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَلَّا نَنْظِمَ أَنْفُسَنَا فِي حَالِ صِحَّتِنَا وَلَا فِي حَالِ فَرَغِنَا وَعَدَمِ شُغْلِنَا، بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ مِنَ الصَّحَّةِ لِلْمَرَضِ، وَأَنْ نَأْخُذَ مِنَ الْفَرَغِ لِلشُّغْلِ (*).

فَاحْرُصْ عَلَى أَوْقَاتِكَ وَسَاعَاتِكَ؛ حَتَّى لَا تَضِيعَ سُدًى، وَاجْعَلْ لَكَ نَصِيبًا مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اغْتَنِمْ خُمْسًا قَبْلَ خُمْسٍ: حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ». أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (١).

وَاحْرُصْ أَنْ تَكُونَ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «رِحْلَةُ الْمَرَضِ وَفَضْلُ الْعَافِيَةِ»، الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ: «فَضْلُ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ».

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «قِصْرِ الْأَمَلِ» (رَقْم ١١١)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤/ ٣٠٦، رَقْم ٧٨٤٦)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (١٢/ ٩٧٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعْظُهُ: «اغْتَنِمْ خُمْسًا قَبْلَ خُمْسٍ...» الْحَدِيثِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٣/ ٣٣٥٥).

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَنَ عَمَلُهُ».

قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (١). (*)

* أَيُّهَا الْمُسْلِمُ! اخْذِرْ أَنْ يَضِيعَ عُمُرُكَ فِي الْمَعَاصِي الْمُهْلِكَاتِ:

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ (٢): «وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَعْرَضَ عَنِ اللَّهِ وَاشْتَعَلَ بِالْمَعَاصِي؛ ضَاعَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُ حَيَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ، الَّتِي يَجِدُ غَيْبَ إِضَاعَتِهَا يَوْمَ يَقُولُ: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]».

فَاخْذِرْ مَجَالِسَ الْفَارِغِينَ، وَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَفَاحِشِ الْقَوْلِ، وَاحْبَسْ لِسَانَكَ عَنِ كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ، وَأَلْزِمْ نَفْسَكَ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ الْجَمِيلَ، وَلْيَكُنْ لِسَانَكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَعِيشُهُ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ غَنِيمَةٌ. (*) (٢).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» (رَقْم ٢٣٣٠)، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ» (٣/ رَقْم ٣٣٦٣). (*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَطْهِيرُ الْقَلْبِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ/ ١٩-٦-٢٠١٥ م، بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

(٢) «الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ» - تَحْقِيقُ: مُحَمَّدٌ أَجْمَلُ الْإِصْلَاحِيِّ، إِشْرَافُ بَكْرُ أَبُو زَيْدٍ، دَارُ عَالَمِ الْفَوَائِدِ: مَكَّةُ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى (١٤٢٩ هـ) - (ص ١٣٨).

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «تَطْهِيرُ الْقَلْبِ فِي رَمَضَانَ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٦ هـ/ ١٩-٦-٢٠١٥ م، بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

سُبُلُ التَّغْيِيرِ لِصَلَاحِ الْوَطَنِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْأُمَّةِ

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ مَعْصِيَةَ اللَّهِ تَعَالَى تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّعَمَ، وَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «مَا نَزَلَ بِلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ».

وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»^(١)، مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه قَالَ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَأَخَذْتُمْ أذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ». وَالْحَدِيثُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»، وَفِي «السَّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ»، وَفِي غَيْرِهِمَا.

«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ»: وَهِيَ السَّلْعَةُ تَدْخُلُ بَيْنَ أَخْذٍ وَعَطَاءٍ، ثُمَّ تَخْرُجُ مَعَ زِيَادَةٍ فِي نَظِيرِ الْأَجَلِ بِلَا مُقَابِلٍ، وَهِيَ حِيلَةٌ مِنَ الْحَيْلِ يَأْخُذُ بِهَا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، يَشْتَرِي سِلْعَةً بِالْفِئِ إِلَى أَجَلٍ، ثُمَّ يَشْتَرِيهَا مِمَّنْ بَاعَهَا لَهُ

(١) «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (رَقْم ٣٤٦٢)، وَصَحَّحَهُ بِمَجْمُوعِ طُرُقِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١/

رَقْم ١١)، وَفِي «صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (٢/ ٣٦٥).

بِثَمَانِمِئَةٍ - مَثَلًا - نَقْدًا فِي الْحَالِ، فَيَأْخُذُ ثَمَانِمِئَةً وَيَبْقَى فِي ذِمَّتِهِ أَلْفٌ، فَدَخَلَتْ
السَّلْعَةُ وَخَرَجَتْ - حِيلَةً -؛ مِنْ أَجْلِ تَحْلِيلِ الرَّبَا، وَهِيَ هَاتِ!!

إِذَا فَسَدَتْ حَيَاتِكُمْ الْاِقْتِصَادِيَّةُ، «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ».

«وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ»: فَصِرْتُمْ تَابِعِينَ حَتَّى لِلْبَقَرِ، وَانْحَطَّتْ هِمَمُكُمْ،
«وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا
إِلَى دِينِكُمْ».

فَجَعَلَ رَفَعَ الذُّلَّ مَرْهُونًا بِالرُّجُوعِ إِلَى الدِّينِ، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الدِّينِ
الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ، وَمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ.

ذُو يَعْرِفُ الْإِنْسَانَ الدِّينَ الْمَرْجُوعَ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْلُكُ إِلَى هَذَا الدِّينِ
السَّبِيلَ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَيْهِ، فَلَا يَكُونُ مُحْسِنًا وَلَا يُرْفَعُ الذُّلُّ عَنْهُ، وَإِنَّمَا لَا بُدَّ مِنَ
الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ: مَعْرِفَةِ الدِّينِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ، وَمَعْرِفَةِ السَّبِيلِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَيْهِ.

فَإِذَا تَحَصَّلَ الْمُجْتَمَعُ عَلَى هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى دِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛
رَفَعَ اللَّهُ مَا سَلَّطَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّلِّ حَتَّى يَعُودَ إِلَى عِزِّهِ وَعِزَّتِهِ، وَرَفَعَتْهُ
وَسُوِّدَدَهُ وَمَجَّدَهُ.

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا

عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا

بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ نِعْمَهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيَّ أَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُ مَا بِنَفْسِهِ، فَيُغَيِّرُ طَاعَةَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ، وَشُكْرَ اللَّهِ بِكُفْرِهِ، وَأَسْبَابَ رِضَاهُ تَعَالَى بِأَسْبَابِ سَخَطِهِ، فَإِذَا غَيَّرَ غَيْرٌ عَلَيْهِ جَزَاءً وَفَاقًا - وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ -.

فَمَنْ صَفَّى صُفِّيَ لَهُ، وَمَنْ كَدَّرَ كُدِّرَ عَلَيْهِ، وَمَنْ شَابَ شِيبَ لَهُ، فَمَنْ أَحْسَنَ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَعَلَى مَنْ أَسَاءَ السُّوَأَى - وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ -.

أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ»، بِإِسْنَادٍ حَسَنِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَعَلَ الِهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا - يَعْنِي: هَمَّ الْمَعَادِ - كَفَاهُ اللَّهُ سَائِرَ هُمُومِهِ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الِهُمُومُ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ» (١).

مَنْ وَحَدَّ؛ وَحَدَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُ سَبِيلُهُ، وَأَقَامَ لَهُ حُجَّتَهُ، وَأَنَارَ لَهُ صِرَاطَهُ، وَهَدَى قَلْبَهُ، وَسَدَّدَ لِسَانَهُ، وَدَفَعَ عَنْهُ أَعْدَاءَهُ؛ لِأَنَّهُ مَنْ كَانَ اللَّهُ لَهُ فَمَنْ يَكُونُ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَخَلَّ اللَّهُ عَنْهُ فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ عَنْهُ؟!!

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي «الزُّهْدِ» (رَقْم ١٦٦)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢/ ٤٤٣، رَقْم ٣٦٥٨) وَ(٤/ ٣٢٨ - ٣٢٩، رَقْم ٧٩٣٤)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الزُّهْدِ» (رَقْم ١٦)، وَفِي شُعْبِ الْإِيمَانِ (١٢/ ١٢) رَقْم ٩٨٥٧، وَحَسَنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٣/ رَقْم ٣١٧٠).

وَالْحَدِيثُ بِمِثْلِهِ عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ فِي «السُّنَنِ» (رَقْم ٢٥٧ و ٤١٠٦)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَحَسَنَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ» (٣/ رَقْم ٣١٧١).

وَأَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ (١)، وَغَيْرُهُ مِنْ رِوَايَةِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه: «مَنْ كَانَتْ هَمَّهُ الْآخِرَةُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا رَاغِمَةً، وَمَنْ كَانَتْ هَمُّ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ».

الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ!

«مَنْ كَانَتْ هَمُّ الْآخِرَةِ»: فَجَمَعَ عَلَيْهَا قُورَاهُ، وَاسْتَعَدَّ لَهَا بِكُلِّيَّتِهِ، وَصَارَ عَلَيْهَا مُقْبِلًا، وَعَنْ سِوَاهَا مُدْبِرًا؛ «جَمَعَ اللَّهُ لَهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ»، «وَالْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (٢) - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه -، كَمَا أَنَّ الْفَقْرَ فَقْرُ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ.

(١) «صحيح ابن حبان» (رقم ٦٨٠ / الإحسان)، وَأَخْرَجَهُ أَيضًا: ابْنُ مَاجَهَ فِي «السُّنَنِ» (رقم ٤١٠٥)، بَلْفِظٍ: «مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كَتَبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»، وَصَحَّ إِسْنَادُهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةِ» (١ / رقم ٤٠٤) (٢ / رقم ٩٥٠).

وَالْحَدِيثُ بِنَحْوِهِ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ فِي «الْجَامِعِ» (رقم ٢٤٦٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، وَرَوَى أَيضًا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» (رقم ٦٤٤٦)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (رقم ١٠٥١)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلوات الله وسلاماته عليه، قَالَ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

«وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا رَاغِمَةً»: فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي يَدِهِ، وَلَا يَجْعَلُهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي قَلْبِهِ، وَكَذَا شَأْنُ الصَّالِحِينَ.

وَأَمَّا الطَّالِحُونَ فَإِنَّ الدُّنْيَا تَكُونُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَهْمَا امْتَلَأَتْ بِهَا أَيْدِيهِمْ لَا تَشْبَعُ مِنْهَا نُفُوسُهُمْ، كَالَّذِي يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ شُرْبَ الْهَيْمِ حَتَّى تَنْقَدَّ مَعِدَتُهُ وَلَا يُرَوِّى بِحَالٍ أَبَدًا.

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

الْفَسَادُ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ الْمُرَادُ بِهِ الذُّنُوبُ وَمُوجِبَاتُهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾؛ فَهَذَا حَالُنَا!!

﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، وَإِنَّمَا أَذَقْنَا الشَّيْءَ الْيَسِيرَ مِنْ أَعْمَالِنَا، وَلَوْ أَذَقْنَا كُلَّ أَعْمَالِنَا لَمَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ.

وَكُلَّمَا أَحْدَثَ الْعِبَادُ ذَنْبًا، أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُمْ عُقُوبَةً؛ فَالْمَعَاصِي تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ؛ فِي الْمِيَاهِ، وَفِي الْهَوَاءِ، وَفِي الزَّرْعِ وَالشَّمَارِ، وَالْمَسَاكِينِ وَالنُّفُوسِ، وَالتَّصَوُّرَاتِ وَحَرَكَةِ الْحَيَاةِ.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، وَجَعَلَ الْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ سَبَبًا لِنِقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ وَحُلُولِ عِقَابِهِ عَلَى الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

أَيُّ أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا أَمْرًا قَدْرِيًّا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَقِيلَ: سَخَّرَهُمْ إِلَى فِعْلِ الْفَوَاحِشِ، فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ، وَقِيلَ: أَمَرْنَاهُمْ بِالطَّاعَاتِ فَفَعَلُوا الْفَوَاحِشَ، فَاسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾. (*)

إِنَّ النَّاسَ إِذَا خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ؛ هَانُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا هَانُوا عَلَيْهِ تَرَكَهُمْ، وَمَنْ تَرَكَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ أَعْظَمُ عُقُوبَةً وَأَكْبَرُهَا؛ إِذْ إِنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِذَا أَحَاطَ الْعَبْدَ بِكَلَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ؛ فَقَدْ شَمَلَهُ بِرَحْمَتِهِ.

وَإِذَا تَخَلَّى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَنِ الْعَبْدِ صَارَ فِي الضَّلَالِ فِي كُلِّ وادٍ، ثُمَّ إِنَّ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ التَّنْغِيسِ فِي الْمَعِيشَةِ الضَّنْكَ مَا وَصَفَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَهَذِهِ حَيَاةُ النَّكَدِ الصَّرْفِ، وَلَا يَصِحُّ لِلْقَلْبِ حَيَاةٌ حَتَّى يَعْرِفَ الْقَلْبُ رَبَّهُ، وَحَتَّى يُحِبَّهُ، وَحَتَّى يَتِمَّ الْحُبُّ عَلَى تَمَامِهِ مَعَ كَمَالِ الدُّلِّ وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ، فَيَصِيرُ الْعَبْدُ عَبْدًا لِلَّهِ كَمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ. (*) (٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ حُطْبَةٍ: «إِنَّ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ رَجَبٍ

١٤٣٣هـ / ١٥-٦-٢٠١٢م.

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ حُطْبَةٍ: «سَبَبُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ» - الْجُمُعَةُ ١٤ مِنْ

جُمَادَى الْأُولَى ١٤٣٣هـ / ٦-٤-٢٠١٢م.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ أُخْرَى مُنَاقِضَةً لِلأُولَى حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنْ غَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ سَيِّئٍ إِلَى حَسَنٍ؛ غَيَّرَ اللَّهُ أَحْوَالَهُمْ مِنْ سَيِّئٍ إِلَى حَسَنٍ، وَإِنْ غَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ حَسَنٍ إِلَى قَبِيحٍ؛ غَيَّرَ اللَّهُ أَحْوَالَهُمْ، وَأَحَلَّ بِهِمْ نِقْمَتَهُ. (*)

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يُرِيدُ مِنَّا أَنْ نَتَغَيَّرَ! بَأَنْ نَتَحَرَّرَ مِنْ أَسْرِ الْعَادَاتِ وَمِنْ قَيْدِ التَّقَالِيدِ الَّتِي قَدْ أَوْثَقَتْ أَرْجُلَنَا فِي الْأَرْضِ بِسَلْسَلٍ تَمِيدُ الْأَرْضَ وَلَا تَمِيدُ، يُرِيدُ مِنَّا رَبُّنَا أَنْ نَتَغَيَّرَ، وَأَنْ نَتَحَرَّرَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَأَنْ نَخْرُجَ مِنْ قَبْضَةِ الْعَادَاتِ إِلَى مَرْضَاةِ رَبِّ الْأَرْضِ السَّمَوَاتِ عَلَى مُقْتَضَى سُنَّةِ سَيِّدِ الْخَلْقِ ﷺ. (*) (٢).

وَلَنْ تُفْلِحَ الْأُمَّةُ وَلَنْ تَصِلَ إِلَى غَرَضِهَا، وَلَنْ تَحْصَلَ مَقْصُودَهَا إِلَّا بِالْعُودَةِ إِلَى كِتَابِ رَبِّهَا وَسُنَّةِ نَبِيِّهَا ﷺ، بِفَهْمِهَا الصَّالِحِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ - وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَجْمَعِينَ -.

فَهَذِهِ سَبِيلُ النَّجَاةِ، لَا سَبِيلَ لِلنَّجَاةِ سِوَاهَا، وَأَمَّا التَّخْبُطُ، وَأَمَّا هَذَا الْهَرْجُ الَّذِي تُعَانِي مِنْهُ الْأُمَّةُ؛ فَهَذَا هُوَ الْمَضِيقُ الَّذِي لَا مَخْرَجَ لَهُ، وَالْمَأْزِقُ الَّذِي لَا

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةٍ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَى مُخْتَصِرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [سورة الرعد:

[١١].

(*) (٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةٍ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ».

نَجَاةَ مِنْهُ إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِلَا تَخَالُفٍ وَلَا تَدَابُرٍ، وَلَا شَحْنَاءَ وَلَا بَعْضَاءَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «تَرْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَحْرِيرُ الْقُدْسِ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ

رِسَالَةٌ أَحْيِرَةٌ مُهَمَّةٌ وَجَامِعَةٌ إِلَى الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ خَاصَّةً

أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! اْعْمَلُوا، وَاجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ؛ فَإِنَّهُ لَا خُرُوجَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ أَزْمَةٍ إِلَّا بِكَلِمَتَيْنِ: أَنْ يَعْْمَلَ كُلُّ مَنَا عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ، لَا عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ حَتَّى هَذِهِ لَا يَعْْمَلُونَهَا، يَعْنِي هُمْ لَا يَعْْمَلُونَ أَصْلًا، لَا عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ وَلَا عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ، هُمْ تَعَوَّدُوا عَلَى الْأَخْذِ مِنْ غَيْرِ عَطَاءٍ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ-، وَهَذَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ ﷻ، وَلَا يَرْضَاهُ هَذَا الدِّينُ الْحَنِيفُ.

عِزُّكُمْ وَشَرَفُكُمْ، دِينُكُمْ!!

حَيَاتُكُمْ وَمَمَاتُكُمْ، دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَاكُمْ هُوَ هَذَا الدِّينُ الْحَنِيفُ!! (*).

أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! إِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَكَاتَفَ، وَأَنْ نَتَّسَاعَدَ، وَأَنْ نَتَّعَاوَنَ؛ مِنْ أَجْلِ الْخُرُوجِ مِنَ النَّفَقِ الْمُظْلِمِ، وَمِنْ أَجْلِ الْخَلَاصِ مِنْ هَذَا اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ تَقُومَ الْأُمَّةُ مُرْتَكِزَةً عَلَى مَحَوْرٍ قَائِمٍ وَأَصِيلٍ، وَهُوَ هَذَا الشَّعْبُ الْمِصْرِيُّ الْأَصِيلُ، هُوَ الصَّخْرَةُ الْبَاقِيَةُ يَنْحَطُّ عَنْهَا السَّيْلُ، هُوَ الصَّخْرَةُ الْقَائِمَةُ الَّتِي تَحْتَ

(* مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «دَاعِشُ وَالْإِخْوَانُ» - الْأَحَدُ ٢٨ مِنْ سُؤَالِ ١٤٣٥هـ/

أَقْدَامِهَا تَنْحَسِرُ الْأَمْوَاجُ - أَمْوَاجُ الْمُؤَامِرَاتِ -، وَلَيْسَ هَذَا بِحَادِثٍ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَدِيمٍ؛ شَرِيظَةٌ أَنْ يَرْجِعَ الْمِصْرِيُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ جَلَّ وَعَلَا.

وَلَوْ رَجَعْتُمْ إِلَى مَا فَعَلَ الْمِصْرِيُّونَ مِنْ فَجْرِ التَّارِيخِ، مِنْ أَيَّامِ الْهُكُوسِ، مَا قَبَلَ ذَلِكَ وَمَا بَعْدَهُ، وَكَذَلِكَ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، لَوْ رَجَعْتُمْ لَعَلِمْتُمْ أَنَّ انْحِسَارَ أَمْوَاجِ الصَّلِيبِيِّينَ وَالتَّارِ وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْغَزَاةِ إِنَّمَا كَانَ عِنْدَمَا تَوَحَّدَتِ الْأُمَّةُ عَلَى دِينِ رَبِّهَا، عَلَى مُجْمَلِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، مُتَازِرَةً، مُتَعَاوِنَةً، مُتَكَاتِفَةً، مُتَرَابِطَةً، لَهَا هَدَفٌ، هَدَفٌ سَامٍ وَنَبِيلٌ، تُبَدَّلُ الْمُهْجُ لَهُ رَخِيصَةٌ، وَتُبَدَّلُ الْأَمْوَالُ لَهُ بِلَا حِسَابٍ؛ مِنْ أَجْلِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ وَتَحْصِيلِهِ؛ لِتَبْقَى مِصْرٌ رَافِعَةً رَايَةَ الْإِسْلَامِ! عَالِيَةً خَفَاقَةً فِي الْأَجْوَاءِ.

اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ، لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِأَعْدَائِكُمْ عَلَيْكُمْ، وَعَلَى أِبْنَائِكُمْ وَحَفَدَتِكُمْ، عَلَى أَعْرَاضِكُمْ، عَلَى أَمْوَالِكُمْ، عَلَى أَرْضِكُمْ وَدِيَارِكُمْ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ. (*)



(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ حُطْبَةٍ: «تَرْكِيَةُ النَّفْسِ وَتَحْرِيرُ الْقُدْسِ» - الْجُمُعَةُ ٢٦ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ

الفهرس

- ٣ مُقَدِّمَةٌ
- ٤ الأمانةُ في العملِ.
- ٧ حَثُّ اللَّهِ عَلَى الْعَمَلِ، وَتَعْمِيرِ الْأَرْضِ فِي الْقُرْآنِ.
- * جَعَلَ اللَّهُ الْأَرْضَ مُنْقَادَةً لِلْبَشَرِ، وَسَخَّرَ لَهُمُ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ؛ مِنْ
- ٧ أَجْلِ حِرَاثَةِ الْأَرْضِ وَزَرَاعَتِهَا وَتَعْمِيرِهَا، وَمِنْ أَجْلِ تَرْقِيَةِ الْحَيَاةِ.
- * أَمَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِأَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِمَطَالِبِ دُنْيَاهُ بِالْعَمَلِ وَالْجِدِّ، أَوْ مَطَالِبِ
- ٩ آخِرَتِهِ بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.
- * مَنْ تَأَمَّلَ فِي خَلْقِ اللَّهِ لِمَخْلُوقَاتِهِ فِي أَرْضِهِ، وَتَسَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ، يَعْلَمُ أَنَّ
- ٩ كُلَّ الصَّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ قَامَتْ بِسَبَبِ هَذَا التَّسَخِيرِ وَالتَّذْلِيلِ.
- ١٣ حَثُّ النَّبِيِّ عَلَى الْعَمَلِ وَتَعْمِيرِ الْأَرْضِ فِي سُنَّتِهِ.
- ١٣ حَثُّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْعَمَلِ، وَإِعْمَارِ الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ لِحْظَةٍ فِي الْحَيَاةِ
- حَثُّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْعَمَلِ، وَبَيِّنَ ﷺ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ عَلَى نَفَقَةِ الرَّجُلِ عَلَى
- ١٥ أَهْلِهِ
- ١٨ التَّوَكُّلُ وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ فِي الْعَمَلِ.

- * النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ لِلْأُمَّةِ ضَرُورَةَ الْعَمَلِ، عَامِلِينَ بِقَاعِدَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ؛ هُمَا:
 ١٨ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ، وَالْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ.....
- * تَأَمَّلْ فِي رِزْقِ النَّمْلِ، وَهُوَ مِثَالٌ عَجِيبٌ!!.....
 ٢١
- احْذَرْ مِنَ الْبَطَالَةِ، وَمِنَ الْفَارِغِينَ!!.....
 ٢٢
- حَضُّ الْإِسْلَامِ عَلَى التَّرَقِّي فِي الْعُلُومِ وَالصَّنَاعَاتِ.....
 ٢٤
- أَهْمِيَّةُ التَّخْطِيطِ، وَدَلَالَتُهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.....
 ٢٦
- * التَّخْطِيطُ الْمُسْتَقْبَلِيُّ لِلْأُمَّةِ يَكُونُ اقْتِصَادِيًّا مَالِيًّا، وَزَّرَاعِيًّا، وَتَمُوِينِيًّا،
 وَعَسْكَرِيًّا حَرْبِيًّا.....
 ٢٦
- مِنْ دَلَائِلِ التَّخْطِيطِ الْاِقْتِصَادِيِّ، وَالزَّرَاعِيِّ، وَالتَّمُوِينِيِّ فِي كِتَابِ اللَّهِ.....
 ٢٦
- * التَّخْطِيطُ وَالْاِعْدَادُ الْعَسْكَرِيِّينَ؛ لِحِمَايَةِ الْأُمَّةِ وَمُقَدَّسَاتِهَا وَثُرْوَاتِهَا.....
 ٢٩
- * بَعْضُ دَلَائِلِ التَّخْطِيطِ وَالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.....
 ٣٠
- الْعَمَلُ وَالتَّخْطِيطُ لِلْمُسْتَقْبَلِ الدِّيْنِيِّ وَالْاُخْرَوِيِّ.....
 ٣٤
- * أَيُّهَا الْمُسْلِمُ! احْذَرْ أَنْ يَضِيعَ عُمْرُكَ فِي الْمَعَاصِي الْمُهْلِكَاتِ.....
 ٣٥
- سُبُلُ التَّغْيِيرِ لِصَلَاحِ الْوَطَنِ الْاِسْلَامِيِّ وَالْاُمَّةِ.....
 ٣٦
- رِسَالَةٌ اُخْيِرَةٌ مُهِمَّةٌ وَجَامِعَةٌ اِلَى الْاُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ خَاصَّةً.....
 ٤٤
- الفهرسُ.....
 ٤٧